

مفهوم الفتنة من منظور نهج البلاغة

تأريخ القبول: ١٤٣٩/٦/٢١

تأريخ الاستلام: ١٤٣٩/٤/١١

عباسعلى فراهتي*

ليلا زارعي شهامت**

الخلاصة

تعتبر إثارة الفتن من المقولات الاجتماعية والسياسية التي تواجهها الحكومات الإسلامية والتي يمكن لها أن تنشأ في ظروف اجتماعية وسياسية معينة. ولكي يتجاوز المسلمون الجوّ الذي امتزج فيه الحق والباطل وأصبح مضللاً ومظلماً، عليهم أن يعرفوا العوامل التي سببته، حتى يتمكنوا من إنقاذ أنفسهم من عواقبه. وبما أنّ الفتنة يمكن أن تظهر في جميع الأوقات، فإن هذه الدراسة ضرورية من أجل نشر التوعية بين الناس في المجتمع. ويرتكز هذا البحث على النصوص الدينية، بما فيها القرآن ونهج البلاغة، فضلاً عن الكتب التاريخية للسنة والشيعية. وتسعى هذه المقالة إلى البحث في مفهوم الفتنة وجوانبها بالاعتماد على المنهج التحليلي الوصفي، واكتشاف طرق مواجهتها والتخلص منها. وقد أظهرت نتائج البحث أن أهمّ خصائص مثيري الفتن تتمثل في العودة إلى عصر الجاهلية وتقويض مبادئ الدين وأُسسها والشك والطغيان والاستبداد. وتتجلى أهمّ طرق التخلص من الفتن في اتباع تعاليم القرآن الكريم والنبوي (ص) وأهل بيته عليه السلام والتحلي بالبصيرة والوعي في مواجهة مثيري الفتن وطاعة القائد وغيرها.

الكلمات المفتاحية: الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة، الفتنة، مثيرو الفتن.

* أستاذ مساعد في جامعة كاشان (a.farahati@gmail.com)

** طالب الدكتوراه جامعة كاشان (الكتاب المسئول) (laila.zarci90@gmail.com)

مقدمة

الإمام علي عليه السلام الكثير من التعاليم حول الفتن وطرق التغلب عليها، والتي يمكن أن تعالج العديد من المشاكل الخطيرة للمجتمع الإسلامي في العصر الحاضر في مواجهة الفتن والمؤامرات.

أسئلة البحث

ما هو مفهوم الفتنة وما هي آثارها ونتائجها في القرآن الفكر العلوي؟
ما هي طرق التغلب على الفتن في الفكر العلوي؟

بما أن الحق والباطل يمتزجان في الفتن، ولذلك يبدو أن الفتنة نوع الاختبار يتعرض له الأفراد لتمييز الحقيقة. ويمكن للفتنة تغيير الهيكل الفكري للمجتمع. ويمكن التغلب على الفتن بالإيمان والعقيدة والالتزام بالقانون والاتحاد والتضامن وطاعة القائد وتنوير الذهن العام وغيرها.

خلفية البحث

من بين البحوث التي أنجزت في هذا المجال يمكننا الإشارة إلى مقالة "الشبكة الدلالية (Semantics) لمفردة الفتنة ومرادفاتها في القرآن"، والتي طبعت عام ١٣٩٤ بالتعاون مع خيري عجرش ومرضية كهنديل جهرمي في مجلة الدراسات القرآنية، العدد ٢٤. وهناك بحوث أخرى مثل: مقالة "طرق مواجهة الفتنة في الرسالة ١٨ من نهج البلاغة" التي نشرت في فروردين ١٣٩١ بواسطة سجاد فروزش في مجلة مبلغان، العدد ١٥١، مقالة "مبادئ التربية السياسية في الإسلام، فتنة عام ١٣٨٨ مثلاً" بالتعاون مع داود مهدي وعلي محمدي سيرت ونشرت عام ٢٠١٥م في مجلة المعرفة السياسية، العدد ١٣، ويذكر أنه نشر أكثر من ٥٠ عمل حول فتنة عام ١٣٨٨، كتاب "موجة الفتنة من حرب الجمل إلى الحرب الناعمة" تأليف أحمد حسين شريف، ١٣٩٠، مطبوعات مركز فكر الشباب. كما تطرق بعض الشارحين إلى هذا الموضوع بشكل متفرق مثل ابن أبي الحديد، ترجمة نهج البلاغة وتفسيره لمحمد تقي جعفري ورسالة آية الله مكارم شيرازي وغيرهم. وعلى الرغم من البحوث التي أجريت في هذا المجال، فإن ضرورة البحث والنتائج غير المطلوبة التي يمكن للفتن أن تسببها من جهة، وعدم التطرق إلى الموضوع من كافة أبعاده وبشكل شامل، دفع بالباحث إلى التطرق إلى موضوع الفتنة وطرق التغلب عليها. يشمل هذا البحث تعريف الفتنة لغة واصطلاحاً وعوامل ظهور الفتنة وخصائص الفتنة ومثري الفتنة وطرق التغلب على الفتنة وتعامل الإمام علي عليه السلام مع مثري الفتن.

١. تعريف الفتنة لغة

يقول الفراهيدي في تعريف مفردة "فتن" الذي اشتقت منه كلمة "فتنة": «إحراق الشيء بالنار كالورق الفتين أي المحترق» (الفراهيدي، ١٤١٠ ق: ٨/١٢٧). أما الراغب الأصفهاني فيقول: «أصل الفتن إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته» (الراغب

تعتبر الفتنة من التيارات الناشئة في المجتمعات الإسلامية. يحاول مشيرو الفتن أن يلبسوا الباطل لباس الحق ويتظاهروا بأنهم متدينون محبوبون للعدالة وأن يجعلوا التمييز بين الحق والباطل صعباً، الأمر الذي يهدف بالطبع إلى تدمير الحكومة الدينية والعودة إلى قيم الجاهلية، ولكن يقصدون الجاهلية التي تتناسب مع الوقت الحاضر، مما يُعبّر عنها بالجاهلية الحديثة.

وللفتنة جذور تمتد بطول التاريخ إلى ما قبل الفترة التي أصبح فيها الإنسان اجتماعياً، منذ أن خلق الله آدم وأمر إبليس بالسجود له، لكن إبليس تكبر وامتنع عن السجود، وهذه كانت بداية الفتنة. ويعتبر العلامة الطباطبائي في كتابه تفسير الميزان أن أسباب امتناع إبليس عن السجود لآدم تتمثل في التكبر والحسد والقياس واعتبار نفسه مستقلاً (طباطبائي، لاتا: ٢٩ / ٨-٢٤). يقول تعالى في القرآن الكريم: «قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ». (الحجر: ٣٩)

حدثت خلال فترة حياة النبي (ص) الكثير من الفتن على يد المشركين واليهود والمنافقين على شكل فرض عقوبات اجتماعية واقتصادية، وطرده المسلمين من مكة المكرمة، وزرع التفرقة بين المهاجرين والأنصار، وإحياء العداوة بين الأوس والخزرج، ومحاولة تقويض أسس إيمان المسلمين، والهجوم ضد النبي (ص) وشن ثلاث معارك في بدر وأحد والخندق. وبعد رحيل النبي (ص) اغتصب الخلفاء الثلاثة الخلافة كل منهم بدوره ممهدين الطريق أمام المزيد من الانحرافات. وفي عهد الإمام علي عليه السلام، شنت مشيرو الفتن حروب الجمل، صفين والنهروان. إن أسباب الفتنة قد تكون داخلية أو خارجية، وفي مجتمعنا اليوم تتبع الفتن الداخلية عن الفتن الخارجية.

إشكالية البحث

يعج تاريخ صدر الإسلام، ولا سيما القرن الأول الهجري بالفتن التي أبعدت المجتمع الإسلامي عن الصراط الذي رسمه القرآن الكريم والنبي (ص). يشير الإمام علي عليه السلام في الخطبة الثانية من نهج البلاغة إلى الفتنة الأولى التي حدثت بعد رحيل النبي (ص) في سقيفة بني ساعدة فيقول: «هُمُ أَسَاسُ الدِّينِ وَعِمَادُ الْيَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَبْغِي الْعَالِي وَبِهِمْ يُلْحَقُ السَّالِي، وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوَلَايَةِ، وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوَرَاةُ» (شهيد، ١٣٧٨: ٩). أنقذ النبي (ص) الناس من الجهل، أما أمير المؤمنين فيريد أن يعيد الحق إلى أهله: «الآن إذ رجع الحق إلى أهله ونقل إلى منتقله» لينقذ الناس مرة ثانية من الفتنة والجهل.

وبما أن الثورة الإسلامية مستوحاة من التعاليم العلوية مقتدية بحكومة الإمام علي عليه السلام، يقول الإمام الخميني (ره) في تصريحاته: الحكومة الإسلامية هي حكومة إلهية ونحن على مسير الحكومة العلوية. وتهدف الثورة إلى الوصول للمجتمع النبوي والعلوي. وتعرض المجتمعات أيضاً للفتن في أي وقت، وقد قدم

عن الأهداف الأسمى مما يشكل عاملاً لانحطاطه. تنتقد هذه الآية التعلق بالحياة الدنيا بتعبيرها عن ذلك بعبارة «حُبُّ الشَّهَوَاتِ». في الآية ٤٦ من سورة الكهف، عبّر عن المال والبنين على أنهما زينة الحياة الدنيا: «الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا» تبين هذه الآية الكريمة الركبتين الأساسيتين للحياة الدنيا، القوة الاقتصادية والقوة الإنسانية اللتان تلزمان لتحقيق أي هدف من الأهداف الدنيوية، (مكارم شيرازي، ١٣٨٠: ١٢ / ٤٨٦).

جاء في الآيات ١٢-١٠ من سورة نوح: «فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَسِّرَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا». في هذه الآية الكريمة يعدهم الله بنعمة معنوية كبيرة وهي غفران الذنوب والتطهر من الكفر والعصيان، وخمس نعم مادية كبيرة وهي المطر والأموال والبنون والبساتين والأنهار. لو أن للمال والبنين قيمة سلبية لما وعد الله بهما. وذكر في بعض الآيات أن بعض الأنبياء طلبوا البنين من الله وبعضهم فرحوا كثيراً لأن الله رزقهم بالبنين: «هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ» (آل عمران: ٣٨). ويقصد زكريا بعبارة «ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً» أن يرزقه الله ولداً له كرامة مثل كرامة السيدة مريم (طباطبائي، لا تاريخ: ١٠/١٤). «فَلَمَّا اعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يُعْبَدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا» (مريم، ٤٩). إن أولاداً مثل اسماعيل، اسحاق ويعقوب يعتبرون من نعم الله كتواب على تحمل النفي من الوطن والهجرة من بين المشركين.

نلاحظ أن القرآن الكريم لا يشير إلى المال والبنين كفتنة في كل حالة، بل يعتبرهما زينة في بعض الآيات. إذن فإن القيمة الإيجابية أو السلبية لهما تتعلق بنية الإنسان ودوافعه، فإذا استخدم هذه النعم في طريقه إلى الكمال فسوف تكون قيمة إيجابية، لكن إذا استخدمها للتعلق بالدنيا وغفل عن الأهداف السامية، فسوف تصبح أسباباً للفتنة وتكون ذات قيمة سلبية من الناحية الأخلاقية، لأن التعلق بالدنيا أمر مذموم وهو جذر لكل خطأ وذنوب. إذن فإن أساس الفتنة في كل من المعنيين هو التمتع والطغيان، وقد ينعم الله تعالى على عباده أحياناً لكي يختبرهم، مما يمهد الطريق أمامهم لأجل الفتنة، ومثير الفتن في المعنى الثاني هو الشخص الشخص الذي أدى طغيانه إلى الفوضى.

عوامل ظهور الفتنة

١. اتباع هوى النفس: يعتبر الإمام علي عليه السلام أن منشأ الفتنة يكمن في اتباع هوى النفس ويقول: «بَدَأَ وَفُوحَ الْفِتَنِ أَهْوَاءُ تَتَّبِعُ» (الخطبة: ٥٠)، لأن اتباع النفس الجامحة يجعل الإنسان غافلاً عن ذكر الله، وهنا يبدأ الانحراف عن الصراط المستقيم. وذكرت

الاصفهاني، ١٤٠٤ق: ١ / ٦٢٣). ويقول ابن منظور في لسان العرب: «جَمَاعٌ مَعْنَى الْفِتْنَةِ الْإِبْتِلَاءُ وَالْإِمْتِحَانُ وَالْإِخْتِبَارُ، وَأَصْلُهَا مَاخُودٌ مِنْ قَوْلِكَ فَتَنْتُ الْفِضَّةَ وَالذَّهَبَ إِذَا ذَوَّبْتَهُمَا بِالنَّارِ لِتَمْيِيزِ الرَّدِيِّ مِنَ الْجَيِّدِ» (ابن منظور، ١٤١٤: ١٣ / ٣١٧). ولكن وجهة نظره حول هذه الكلمة يتعد عن المعنى اللغوي لها ويقترّب من المعنى الاصطلاحي الذي سنشير إليه. ويبدو أن المعنى الذي قدّمه الفراهيدي حول هذه الكلمة أكثر صحة لأنه المعنى الأكثر رواجاً في اللغة العربية، ومن هذا المنطلق فإن معنى "إحراق الشيء بالنار" هو المعنى اللغوي الدقيق لهذه الكلمة، وعلى الرغم من أن الراغب الاصفهاني وابن منظور أشارا إلى هذا المعنى، لكنهما اعتبرتا تعريفهما أكثر مصداقية ولم يشارا إلى مفهوم هذه الكلمة. واستخدمت الفتنة في القرآن بالمعاني التالية: الشرك، الكفر، التضليل، القتل، الردع، الضلال، الاعتذار، القضاء، الذنب، المرض، العبرة، العقوبة، البلاء، العذاب، الحرق والجنون (السيوطي، ١٤٢٩: ١ / ٢٨٦)، لكننا لن نذكر الآيات تجنباً للإطالة، وإلى جانب المعاني التي أشار إليها السيوطي سنتطرق إلى أقرب المعاني.

٢. مصطلح الفتنة في القرآن ونهج البلاغة

الفتنة في القرآن ونهج البلاغة ذات معنى عام ومعنى خاص. المعنى العام يشير إلى الاختبار والمعنى الخاص يعني الفوضى. والآن سنلقي نظرة على أمثلة قيمة من هذين الكتابين. الفتنة في القرآن تعني الاختبار وقد أشير إليها في كثير من الحالات. «وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَاكُمُ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ» (الأنفال: ٢٨) (الزمخشري، ١٤٠٧: ٢ / ٣٥٦). المعنى الثاني للفتنة في القرآن: «الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ...» (البقرة: ١٩١) الفتنة بمعنى الفوضى والإخلال بشؤون الدين (ابن عاشور، ١٩٨٤: ٢ / ١٧٠).

وجاء في نهج البلاغة حول الفتنة بمعنى الاختبار: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ وَلَكِنْ مَنْ اسْتَعَاذَ فَلَيْسَ يَعُذُّ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ...» (الحكمة: ٩٣) (شهيد، ١٣٧٨: ٣٧٥). ويقول عليه السلام حول الفتنة بمعنى الفوضى: «إِيَّهَا النَّاسُ شَقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفْنِ النَّجَاةِ، وَعَرَّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ» (الخطبة: ١٣٥).

و السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل يعتبر المال والبنون فتنة دائماً؟ سنشير إلى حالات اعتبر فيها المال والبنون من النعم: «زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَإِ» (آل عمران، ١٤). تعني الفتنة في هذه الآية «القناطر المقنطرة» المال الكثير (الطبري، ١٤٢٠: ٦ / ٢٤٩) وجميع هذه «القناطر المقنطرة» من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث» مصاديق المال، فإذا استهدف الإنسان الدنيا فسوف يغفل

الظلم، ولكن خلف مبادراتهم هذه تكمن خفايا كثيرة مثل الرئاسة والأناية وحب الجاه والمال. وقد بين معاوية بعد سنوات من استشهاد الإمام علي عليه السلام أن حربه ضد علي وأنصاره لم تكن للدفاع عن الإسلام ومقدساته وقيمه، ولا لإحياء الصلاة والصيام والحج والزكاة، بل كان يسعى وراء الحكومة والرئاسة والخلافة (شيخ مفيد، ١٤١٣: ١٤/٢ ص) (ابن أبي الحديد، ١٣٤٠: ١٦/٤٦). ومن علامات المنظمات والأحزاب المثيرة للفتن هي أنها تتأسس عادة بعد فشل في الوصول إلى السلطة. يقول الإمام علي عليه السلام: «كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الْأَمْرَ لَهُ، وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ، لَا يُمْتَنَّانِ إِلَى اللَّهِ بِحَبْلٍ، وَلَا يُمْتَدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلٌ ضَبِّ لَصَاحِبِهِ، وَعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ! وَاللَّهِ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ لَيَنْتَرِعَنَّ هَذَا نَفْسَ هَذَا، وَلَيَأْتِيَنَّ هَذَا عَلَى هَذَا...» (الخطبة: ١٤٨).

إن طلحه وزير كان كُلاً وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الْأَمْرَ لَهُ، وَ يَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ (لأن كلاهما كان يريد الخلافة لنفسه ولم تكن محاربتهم للإمام لأجل الدين والإيمان كما كانا يدعيان بل حباً بالدنيا والجاه)، لَا يُمْتَنَّانِ إِلَى اللَّهِ بِحَبْلٍ، وَ لَا يُمْتَدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ (ليس لدى أي منهما حجة أمام الله لإراقة الدماء لأن أياً منهما لم يكن من أنصار الدين ولم يكن يؤمن بالله)، كُلاً وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلٌ ضَبِّ لَصَاحِبِهِ، وَ عَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ! وعندما دخل البصرة مكرراً قبض على عثمان ابن حنيف وقتل الكثير من حراس بيت المال واختلفا على إمامة الصلاة حتى أصلحت عائشة بينهما واتفقا على أن يقوم كل واحد منهما بها يوماً وطلب كل منهما من عائشة أن يلقي الناس عليه التحية ويعرف بالإمارة فأمرت عائشة بإلقاء التحية على الاثنين وقبلهما للإمارة (فيض الإسلام، ١٣٧٩: ٣/٤٥٣). وكثرت هذه الخلافات بينهما كثيراً ولذلك يقول الإمام علي عليه السلام: أقسم لو أنهما بلغا ما يريدانه لقضى كل منهما على الآخر.

٥. **عدم امتثال أوامر القائد:** طاعة الأنبياء والقائد وأولي الأمر شيء واجب: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» (النساء: ٥٩). إن الأشخاص الذين يعصون قيادة المجتمع التي تستند إلى تعاليم الوحي والإمامة والولاية أو يميلون إلى التعاون مع مشيري الفتن، فسوف يسقطون في نيران الفتن. ولذلك فقد أكد القرآن كثيراً على هذا الأمر: «وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ» (البقرة: ١٩٣).

قادة الفتنة

يتضمن كلام الإمام علي عليه السلام الحديث عن أركان الفتنة وهي:

النصوص الدينية أن عدم التقيد بالتعاليم الإلهية يؤدي بالإنسان إلى الهلاك، وهو ينشأ عن عدم تشخيص الحق عن الباطل: «يُبْتِئُ الْفِتْنُ فِيهَا، فَلَا يُتَّصَرُّونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، يُؤْمَجُونَ فِيهَا مَوْجاً، وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجاً» (الخطبة: ١٦٤) (شهيد، ١٣٧٨: ١٦٩).

٢. **البدع في الدين:** البدعة في الحقيقة استكمال للهوس، فالأشخاص الذين يفسرون الآيات والأحاديث على هواهم، يقومون في الحقيقة بتبرير هوى النفس. وتنشأ البدع في الدين من ناحية العلماء، وعادة ما تؤدي أخطاؤهم إلى انزلاق الكثير من الناس في وادي الخطيئة. لقد أدت البدع في صدر الإسلام إلى ارتكاب الكثير من الجنايات ضد أهل بيت النبي (ص): «كُلُّ يَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِدَمِيهِ؟» (شيخ صدوق، ١٤٠٠: ٤٦٢). وقد لجأ عمر بن سعد إلى تشجيع جيشه لمحاربة الإمام الحسين وأنصاره بإطلاقه لشعار: «يا خيل الله اركبي وبالجنة أبشري» (بلاذري، ١٣٩٤: ٣/١٨٤).

٣. **حب الدنيا:** وهو من العوامل الأخرى التي تؤدي إلى ظهور الفتنة. يقول الإمام علي عليه السلام في هذا الشأن: ألا وإن حب الدنيا رأس كل خطيئة، وباب كل بلية، ومجمع كل فتنة، وداعية كل ريبة، الويل لمن جمع الدنيا وأورثها من لا يحمد، وقدم على من لا يعذر (شعبة الحراني، ١٤٢٣: ١٥٢). إن حب الدنيا الذي يشمل جمع الأموال والثروات يؤدي إلى الفتنة كما يقول الإمام علي عليه السلام في الخطبة ٨٢ من نهج البلاغة: «أَصِفْ مِنْ دَارٍ أَوْلَاهَا عَنَاءً، وَأَخْرَجَهَا فَنَاءً! فِي حَلَالِهَا جَسَابٌ، وَفِي حَزَائِهَا عِقَابٌ. مَنْ اسْتَعْنَى فِيهَا فِتْنًا، وَمَنْ افْتَقَرَ فِيهَا حَزَنًا» (شهيد، ١٣٧٨: ٦٠)، ويقول في الحكمة ١٥٠: «إِنِ اسْتَعْنَى بِطَرَفٍ وَفِتْنَةٍ، وَإِنِ افْتَقَرَ قَبِيضًا» (المصدر نفسه: ٣٨٩). وكلامه هذا تصديق للآية الكريمة التي تقول: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ أَلْفُ نَفْسٍ لِيَطْغَى أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْنَى» (علق: ٧-٦). لقد كان العامل الرئيسي في ظهور فتنة الجمل، حب الدنيا وطلب الثروة. وقد أدرك مالك الأشتر الصحابي البصير للإمام علي عليه السلام هذه الحقيقة حول الخوارج وخاطبهم قائلاً: يا أصحاب الجباه السود!.. كنا نظنُّ صلاحكم زهادة في الدنيا، وشوقاً إلى لقاء الله، فلا أرى مرادكم إلا الدنيا!.. ألا قبهاً يا أصحاب النبي الجلالة، ما أنتم برائين بعدها عزاً أبداً. فابعدوا كما بُعد القوم الظالمون! (المنقري، ١٤٠٤: ٤٩١). وبين الإمام علي عليه السلام في الخطبة المعروفة بالشقشقية فتنة الناكثين والقاسطين والمارقين بصراحة ويصفهم بأنهم يرون الدنيا جميلة قد سحرهم ذهبها البرق.

٤. **الوصول إلى الحكم والمناصب الإدارية:** يتوقع بعض الأفراد والأسر المتنفذة في المجتمع من الهيئة الحاكمة بعض المزايا والمناصب والثروات، فإذا لم يحصلوا عليها نظراً لأنها غير قانونية، يعمدون إلى تشكيل الأحزاب المعارضة ويسمون فعاليتهم النضال ضد

مُضِلٌّ لِمَنْ أَقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ، حَمَالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ زَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ. وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهَالًا مُوَضِعٌ فِي جَهَالِ الْأُمَّةِ، عَادٍ فِي أَعْبَاشِ الْفِتْنَةِ، عَمٌ بِمَا فِي عَقْدِ الْهُدْنَةِ، قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِمًا وَلَيْسَ بِهِ...» (الخطبة: ١٧؛ شهيد، ١٣٧٨: ١٩). تتمثل الفئة الأولى في الحكام المضللين والفئة الثانية في القضاة الجهلة (مكارم شيرازي، ١٣٧٥: ١ / ٥٧١). ولذلك فإن معنى كلمة الحكم في هذه الخطبة «يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهل» فهذا مفهوم عام يشمل الحكم والقضاء.

وأشير إلى النساء والأولاد في آيات القرآن وكلام الإمام علي عليه السلام على أنهم أسباب للفتنة: «وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ، وَلَا وَلَدٌ يَحْزِنُهُ، وَلَا مَالٌ يَلْفِتُهُ» (الخطبة: ١٦٠). (فيض الاسلام، ١٣٧٩: ٥٠٩/٣).

خصائص الفتنة

١. **امتزاج الحق والباطل:** في الفتنة يمتزج الحق بالباطل ولا يعود وجه الباطل واضحاً، وهنا يتمكن مشيرو الفتنة من تضليل أولئك الذين تنقصهم البصيرة. بديهي أن الأشخاص الذين يريدون إثارة الفتنة بين المسلمين لا يمكنهم مخالفة مبادئ الدين وقيمه بشكل مباشر وواضح، لأنهم سيلقون الهزيمة، ولهذا فهم يقدمون مزيجاً من الحق والباطل بشكل جذاب ومؤثر إلى الناس. ويعرف الإمام علي عليه السلام في نهاية حرب صفين الشبهة على النحو التالي: «وَأِنَّمَا سُمِّيَتْ الشُّبُهَةُ شُبُهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ» (الخطبة: ٣٨).

ويعتبر الإمام علي عليه السلام أن أهم سمات الفتنة تتمثل في الاشتباه بين الحق والباطل مشيراً إلى ذلك أثناء بيعة الناس له على النحو التالي: «دَعُونِي وَالتَّمِسُوا غَيْرِي، فَإِنَّا مُسْتَقْبَلُونَ أَمْرًا، لَهُ وَجُوهٌ وَالْوَانُ، لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ، وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ، وَإِنَّ الْأَفَاقَ قَدْ أَعَامَسَتْ، وَالْمَحْجَةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ» (الخطبة: ٩٢).

(شهيد، ١٣٧٨: ٨٥). وفي الخطبة ٥٠ يقول: «فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِرَاجِ الْحَقِّ، لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُتَرَدِّينَ، وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ، انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ، وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِعْفٌ وَمِنْ هَذَا ضِعْفٌ فِيمَرْجَانِ، فَهَذَا لِكَيْ يَسْتَوْلِيَ الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، وَيُنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى» (طالقاني، ١٣٧٤: ٥٢٥). لكن امتزاج الحق بالباطل لا يمنع من معرفة الحقيقة ولذلك يتابع عليه السلام عليه السلام كلامه قائلاً بأن المؤمنين مصونون من الضلال ويقول في الخطبة ٩٣: «نَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ» نستنتج من هاتين الخطبتين أن المؤمنين هم قادة الصراط المستقيم.

٢. **مخفية ومجهولة:** بما أن مثيري الفتنة يعمدون إلى مزج الحق بالباطل، ولذلك تصعب معرفتهم في البداية، ولكن عندما تزول الشبهات يظهر وجههم الحقيقي: «إِنَّ الْفِتْنََ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَهَتْ،

١. **فاعل الفتنة (مثير الفتنة):** يعتبر الإمام علي عليه السلام أن فاعل الفتنة هو الشيطان قائلاً: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسْنِي لَكُمْ طُرُقَهُ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً، وَيُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ، وَبِالْفُرْقَةِ الْفِتْنَةَ، فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَعَاتِهِ وَنَفَاتِيهِ، وَأَقْبَلُوا النَّصِيحَةَ يَمِّنَ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ، وَأَعْقِبُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ» (الخطبة: ١٢١). يحذر الإمام عليه السلام في هذا القسم من تأمر الشيطان والمقصود بالعقدة هنا القوانين والأنظمة التي تؤدي إلى استقرار الدين (ابن ميثم، ١٣٦٢: ١١٨ / ٣)، ويبين طرق نفوذه في أن الشيطان يصور لنا طرق الانحراف سهلة حتى يبدأ بالسير على طريقه، ولهذا فهو يقوم بعمله خطوة خطوة حتى يحل الدين عقدة عقدة ويقضي على العقائد واحدة تلو الأخرى وبدلاً من التضامن والوحدة فهو يزرع الفتنة وينشر التفرقة. ولذلك يطلب الإمام علي عليه السلام قبول النصيحة من الأشخاص الصالحين.

٢. **قادة الفتنة:** ويسميهم الإمام علي عليه السلام «المنافقين» ويقول: «أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَحْذَرِكُمْ أَهْلَ النَّفَاقِ، فَإِنَّهُمْ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ، وَالزَّالُّونَ الْمَزِلُّونَ، يَتَلَوَّنُونَ الْوَانَ، وَيَفْتَنُونَ أَفْتِنَانًا» (الخطبة: ١٩٤). بعد التوصية بالتقوى، يشير الإمام علي عليه السلام إلى صفات المنافقين وينصح بالابتعاد عنهم لأنهم منحرفون عن الصراط المستقيم ويضللون غيرهم من الناس بجعلهم يشبهون بين الحق والباطل، وتدل كلمة "تلون" على تغير أقوال وأفعال المنافقين بسبب سعيهم وراء لباطل والأغراض الفاسدة حيث يتعاملون مع كل شخص بتصرف مختلف ويحاولون دائماً جر الآخرين إلى الفتنة.

٣. **الخواص:** وهم أصحاب المناصب وزعماء المجموعات الذين يفتخرون بحسبهم ونسبهم. يقول الإمام علي عليه السلام فيهم: «أَلَا فَالْحَدَرَ الْحَدَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكِبْرَائِكُمْ! الَّذِينَ تَكْبَرُوا عَلَى حَسَبِهِمْ، وَتَرَفَعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ» (الخطبة: ١٩٢). وقد أشير إلى هذا الأمر في القرآن الكريم حيث يرفض تعالى ذريعة الضالين الذين يلقون باللوم في ضلالهم على أسيادهم: «وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَانَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا، رَبَّنَا آتِنَاهُمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنُوهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا» (الأحزاب: ٦٧). ويعتبر الإمام علي عليه السلام أن سبب عدم جدارة هؤلاء بالطاعة يعود إلى تكبرهم وتفاخرهم ونسيانهم أنهم خلقوا من طين، ولو أنهم يدركون أصلهم ومن أية مادة خلقوا، لكانوا في منتهى التواضع: «وَعَجِبْتُ لِلْمُتَكَبِّرِ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ نُطْفَةً، وَيَكُونُ عَدَاً حَيْفَةً» (الحكمة: ١٢٦). (شهيد، ١٣٧٨: ٣٨٣).

٤. **من وكلهم الله على أنفسهم:** وهؤلاء دائماً ما يأتون بالبدع والفتن: «بِإِنَّ أَعْضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ رَجُلَانِ، رَجُلٌ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ، فَهُوَ جَائِزٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، مَشْغُوفٌ بِكَلَامِ بَدْعَةٍ، وَدُعَاةٍ ضَلَالَةٍ، فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنْ افْتَنَّ بِهِ، ضَالٌّ عَنْ هَدْيٍ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ،

وَالْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ، تَغْشَاهُمْ الظُّلُمَاتُ وَتَتَلَاطَمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتُ، فَجَازُوا عَنْ وَجْهِتِهِمْ وَنَكَّضُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَتَوَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ وَعَوَّلُوا عَلَى أَحْسَابِهِمْ، إِلَّا مَنْ فَاءَ مِنْ أَهْلِ الْبَصَائِرِ» (نامه: ٣٢). (شهیدی، ١٣٧٨: ٣٠٩).

٢. **تقويض مبادئ الدين:** بعد إحيائهم لقيم الجاهلية، يقوم مثيرو الفتن بتقويض مبادئ الدين وقيمه العليا. يقول الإمام علي عليه السلام في الخطبة ٥١: «وَتَلِمَ مَنَارَ الدِّينِ» وفي الخطبة ٥٠: «إِنَّمَا بَدَأَ وَفُوعَ الْفِتَنِ أَهْوَاءَ تُتَّبَعُ وَأَحْكَامًا تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ...» (شهیدی، ١٣٧٨: ٤٤). ويبين عليه السلام فتنة الناكثين وحرب الجمل وتظايرهم بالتدين قائلاً: «حَتَّى سَتَرَنِي عَنْكُمْ جِلْبَابَ الدِّينِ» (الخطبة: ٤).

٣. **التشكيك:** تؤدي الفتنة بالأذهان إلى الشك والتردد بمرجها للحق والباطل والتظاهر بالتدين مما يضعف جبهة الحق ويقوي جبهة الفتنة. يعتبر الإمام علي عليه السلام أن الفتنة: «تَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ» (الخطبة: ١٥١) كما يعتبر أن الفتنة تقلل العلم والحكمة: «تَغِيضُ فِيهَا الْحِكْمَةَ» ويقول كذلك: «خَفَّتْ عُقُولُكُمْ وَسَفِهَتْ حُلُومُكُمْ، فَانْتَمَّ غَرَضٌ لِنَابِلٍ وَأُكْلَةٌ لِأَكْبِلٍ وَفَرِيَسَةٌ لِصَائِلٍ» (الخطبة: ١٤؛ شهیدی، ١٣٧٨: ١٦). وقد امتنع سليمان بن صرد عن نصره الإمام الحسين بسبب تردده، لكنه ندم بعد استشهاد الإمام.

٤. **الاستبداد والاستئثار:** يعتبر الإمام علي عليه السلام في الخطبة ٣٠ أن سبب مقتل عثمان هو استبداده ويقول: «أَسْتَأْتِرُ فِئَسَاءَ الْأَثَرَةِ، وَجَزِعْتُمْ فِئَسَاتِمُ الْجَزَعِ، وَلِلَّهِ حُكْمٌ وَأَقْعٌ فِي الْمُسْتَأْتِرِ وَالْمُجَارِعِ» وعندما بدأ المسلمون بالاعتراض لم يصغ إليهم مما أثار الناس ضده وتخلي عنه المهاجرون والأنصار.

إن الخصائص التي ذكرناها للفتنة ومثيري الفتنة هي السمات العامة التي ترتبط بكافة العصور والأزمان ولا يمكننا أن نحصرها بعهد الإمام علي عليه السلام

تعامل الإمام علي عليه السلام مع الفتن

١. **اليقظة أمام العدو:** يعتبر الإمام علي عليه السلام أن أهم سماته في مواجهة الفتنة هي اليقظة في مواجهة العدو فيقول: «وَاللَّهِ لَا أَكُونُ كَالضَّبْعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ، حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَائِلُهَا وَيَخْتَلِبَهَا رَاصِدُهَا» (الخطبة: ٦). (شهیدی، ١٣٧٨: ١٤). ويؤكد عليه السلام على ضرورة اليقظة أمام العدو وعدم الغفلة عنه، لأن لحظة غفلة قد تسبب الكثير من الأضرار: «مَنْ نَامَ عَنْ عَدُوِّهِ أَتْبَهَتْهُ الْمَكَايِدُ» (خوانساري، ١٣٦٦: ٣٤٤/٥). وقال كذلك: «لَا تَأْمَنُ عَدُوًّا وَإِنْ شَكَرَ» (خوانساري، ١٣٦٦: ٦/٢٦٨).

وإِذَا أَدْبَرْتَ بَيْهَتْ، يُنْكَرُونَ مُقْبِلَاتٍ، وَيُعْرِفُونَ مُدْبِرَاتٍ» (الخطبة: ٩٣). وعادة ما تبدو الفتنة في أذهان الناس شبيهة بالحق، وبعد أن اجتازت مراحلها يدرك الناس أنها كانت فتنة، فهي لا تظهر كفتنة في البداية بل تظهر شبيهة بالحق ويكون الدعاة لها كالدعاة إلى الحق والهدى، ولكن عندما تغلغل الفتنة بين الناس فسوف يدركون أنه لا دخل لها بالحق وأن أولئك الدعاة إلى الحق كانوا في الحقيقة دعاة إلى الباطل (ابن ميثم، لاتا: ٢/ ٣٩١). ولهذا يعجز الكثير من الناس العاديين عن إدراك هذا الأمر فيجهلون كيفية التعامل مع العدو.

٣. **عدم شمولية الفتن:** «يُحْمَنَ حَوْمَ الرِّيحِ، يُصَبَّنَ بِلْدَاءٍ وَيُخْطِئَنَ بِلْدَاءٍ» (الخطبة: ٩٣). (شهیدی، ١٣٧٨: ٨٦). عندما يدخل الأفراد في دوامة الفتن يفقدون تركيزهم ويقظتهم فيعجزون عن الاستعانة بفكرهم بشكل صحيح. ولذلك فقد يتحركون في اتجاه منحرف عن الهدف الرئيسي، ولو أخبرهم أحد ما من خارج الدوامه بأنهم يسلكون الاتجاه الخاطي فلن يسمعه ولو سمعوه فلن يتمكنوا من اتخاذ القرار الصحيح، وهذا هو جو الفتنة (شريف، ١٣٩٠: ٣٥). وكما يعاني المصابون بالدوامه ويفقدون تركيزهم وسيطرتهم على أنفسهم، فالأمر كذلك بالنسبة للمفتونين حيث يفقدون السيطرة على حالهم في الجو الذي أوجده مثيرو الفتنة.

٤. **تضرر ذوي البصيرة:** «عَمَّتْ حُطَّتُهَا، وَخَصَّتْ بِلَيْتُهَا. أَصَابَ الْبِلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا، وَأَخْطَأَ الْبِلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا» (شهیدی، ١٣٧٨: ٨٦). بديهي أن أضرار الفتنة ستعم مختلف أنحاء المجتمع وربما تشير عبارة "عَمَّتْ حُطَّتُهَا" إلى هذا الأمر ذاته إلا أن شفتها الحادة تصيب ذوي البصيرة ويبقى الغافلون واليقظون عديمو المسؤولية في أمان منها: «عَمَّتْ حُطَّتُهَا، وَخَصَّتْ بِلَيْتُهَا».

٥. **تضرر مثيري الفتنة:** فكما ذكرنا، فإن الفتنة تشبه الدوامه التي لا يمكن لأحد السيطرة عليها حتى نفسها. عندما تعم الدوامه المجتمع فلن يتمكن حتى مثيروها من السيطرة عليها، ولذلك فهي تذهب بمصالحهم أيضاً، ولذلك يقول الإمام علي عليه السلام: «مَنْ شَبَّ نَارَ الْفِتْنَةِ كَانَ وَقُوداً لَهَا» (تيمى آمدي، ١٣٧٧: ٢/ ١١٢٦).

سمات مثيري الفتنة

١. **العودة إلى عصر الجاهلية:** إن الارتداد عن القيم الدينية والعودة إلى الجاهلية سمة بارزة من سمات مثيري الفتن ويمكن أن نسُميها العودة إلى الجاهلية الأولى. يقول الإمام علي عليه السلام مخاطباً معاوية: «وَأُرْدِيَتْ جِبَالاً مِنَ النَّاسِ كَثِيراً، خَدَعْتَهُمْ بِعَيْكَ

طبرسي، ١٤١١: ٢٣٩/٤). فبالنظر والتدقيق في مفهوم الآيات يمكننا في هذا العصر تمييز الحق عن الباطل.

٢. **اتباع أهل البيت:** وهو ما أوصى به النبي (ص) قبل رحيله لأجل تجاوز الفتن حيث يخاطب عمارة قائلاً: يا عمار ستكون بعدى فتنة فإذا كان ذلك فاتبع علياً وحزبه فإنه مع الحق والحق معه. (خزار قمي، ١٤٠١: ١٢٢). ويعتبر الإمام علي عليه السلام كذلك أن إحدى طرق تجاوز الفتن هي التمسك بأهل البيت: «قَدْ خَاضُوا بِحَارِ الْفِتَنِ، وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ، وَأَرَزَّ الْمُؤْمِنُونَ وَنَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ، نَحْنُ الشُّعَارُ وَالْأَصْحَابُ وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ، وَلَا تُؤْتَى الْبُيُوتَ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا، فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سَمِيَ سَارِقًا مِنْهَا، فِيهِمْ كِرَائِمُ الْقُرْآنِ وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ، إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْتَبْقُوا...» (الخطبة: ١٥٤). (شهيد، ١٣٧٨: ١٥٣). ويقول في الخطبة ٩٣: «نَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ وَلَسْنَا فِيهَا بِدَعَاةٍ» (المصدر نفسه: ٨٦).

٣. **البصيرة والوعي أثناء الفتن:** يقول الإمام علي عليه السلام في هذا الشأن: «كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابِنَ الْبُيُوتِ؛ لَا ظَهْرَ فَيُرْكَبُ وَلَا ضَرْعُ فَيَحْلَبُ» (الحكمة: ١؛ شهيد، ١٣٧٨: ٣٦٢). يقول ابن أبي الحديد في شرح هذه العبارة: وابن اللبون لا يكون قد كمل وقوي ظهره على أن يركب وليس بأثني ذات ضرع فيحلب وهو مطرح لا ينتفع به. وأيام الفتنة هي أيام الخصومة والحرب بين رئيسين ضالين يدعوان كلاهما إلى ضلالة كفتنة عبد الملك وابن الزبير وفتنة مروان والضحاك وفتنة الحجاج وابن الأشعث ونحو ذلك؛ فأما إذا كان أحدهما صاحب حق فليست أيام فتنة كالجمل وصفين ونحوهما بل يجب الجهاد مع صاحب الحق وسل السيف والنهي عن المنكر وبذل النفس في إعزاز الدين وإظهار الحق (ابن أبي الحديد، ١٣٤١: ١٨ / ٨٢). ويتضمن كلام ابن أبي الحديد أنه لم يكن هناك حروب وفتن في عهد الإمام علي، بل ستحدث الفتنة عندما يضل الفريقان طريق الحق، وهذا الكلام يختلف عن تعريف الفتنة وسماتها، لكن كما أشرنا في بداية البحث فإن الفتنة تبار يشتهه فيه بين الحق والباطل مما يقود أفراد المجتمع إلى الخطأ، فإذا وقف الفريقان الضالان في مواجهة بعضهما البعض وتبينت الحقيقة فلن تحدث الفتنة. وهو لم يعتبر حوادث الجمل وصفين والنهروان من الفتن لأن الحقائق تبينت مع مرور الزمن، بينما لم يكن الحق والباطل بائناً آنذاك ولم يكن المسلمون قادرين على التمييز بينهما، ولذلك كان مثيرو الفتنة يبينون الحقائق بما يخدم مصالحهم.

٤. **طاعة القائد:** وهي تدفع الفتن وكما يقول الإمام علي عليه السلام فإن عصيان القائد يؤدي إلى الندم والحسرة: «فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرَّبِ تُورِثُ الْحَسْرَةَ، وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ» (الخطبة: ٣٥). ويقول كذلك: «فَإِنِّي فَقَّأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِيَّ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَآجَ غَيْهَبُهَا، وَاشْتَدَّ كَلْبُهَا

٢. **الاستدلال:** الأسلوب الثاني لمواجهة الفتن يتمثل في الاستدلال والمنطق حيث يستند الإمام علي عليه السلام بالآية الكريمة: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ» (النحل: ١٢٦) مؤكداً على أنه لا يجب نسيان المنطق والاستدلال في مواجهة العدو: «بِرَّعْمُ أَنَّهُ قَدْ بَاتَعَ يَدِيهِ وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ، فَقَدْ أَقْرَبَ بِالْبَيْعَةِ وَادَّعَى الْوَلِيَجَةَ، فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرِفُ، وَإِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ» (الخطبة: ٤٨؛ شهيد، ١٣٧٨: ١٤).

٣. **إفحام العدو:** عندما سمع عليه السلام الخوارج يقولون «لا حكم إلا لله» قال: «كَلِمَةٌ حَقٌّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ! نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ. وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: لَا إِمْرَةَ إِلَّا لِلَّهِ. وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ، وَيُبْلَغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْفِيءُ...» (الخطبة: ٤٠). (المصدر نفسه: ٣٩). لقد قبل الخوارج الآية الكريمة التي تقول «لا حكم إلا لله» من سورة يوسف، لكنهم يرفضون الآية التي تقول: «رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ...» (يوسف: ١٠١) والتي نصّب فيها حاكماً، إذن يجب على الحاكم أن يكون مثل سيدنا سليمان وملكة سبأ وغيرهم من الذين يحكمون بالحق.

٤. **اللجوء إلى القوة:** يعتبر الإمام علي عليه السلام أن الحل الأخير لمواجهة الفتن هو اللجوء إلى القوة حيث يستند إلى قول الله تعالى: «وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» (الأنفال: ٣٩). ويرى عليه السلام أن العدو لا يستقيم بطريقة سلمية وأن استمراره يؤدي إلى الهلاك، فلا حلّ سوى القضاء عليه: «فَإِنَّ أَبَا أُعْطِيَتْهُمْ حَدَّ السَّيْفِ، وَكَفَى بِهِ شَافِئاً مِنَ الْبَاطِلِ وَنَاصِراً لِلْحَقِّ» (الخطبة: ٢٢؛ شهيد، ١٣٧٨: ٢٣).

طرق التغلب على الفتنة

١. **الاستعانة بالقرآن:** إذا تمكّن المرء في بحبوحة الفتنة والمؤامرات من الاعتماد بشكل صحيح على القرآن، فسوف يكون قادراً على تمييز الحق من الباطل. ويبين النبي (ص) كيفية تجاوز الفتن على النحو التالي: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله)، الفتنة يوما، فقلنا: يا رسول الله، كيف الخلاص منها؟ فقال: بكتاب الله، فيه نبأ من كان قبلكم، ونبأ من كان بعدكم، وحكم ما كان بينكم، وهو الفصل وليس بالهزل، ما تركه جبار إلا قصم الله ظهره، ومن طلب الهداية بغير القرآن ضل، وهو الحبل المتين، والذكر الحكيم، والصراف المستقيم، وهو الذي لا تلبس على الألسن، ولا يخلق من كثرة القراءة، ولا تشعب منه العلماء، ولا تنفسي عجائبه. (نورى

الصعب جداً التمييز بينهما. ويسعى مثيرو الفتن من خلال مزج الحق بالباطل إلى تضليل ذوي البصيرة. يعتبر الإمام علي عليه السلام أن الوعي والبصيرة من أهم طرق التخلص من الفتن والتغلب عليها ويقول الإمام عليه السلام: *وَإِخْذَرُوا بَوَائِقَ النَّقْمِ وَتَثَبُّوا فِي قَتَاِمِ الْعِشْمِ وَأَعْوِجِيحِ الْفِتْنَةِ عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا وَظُهُورِ كَمِينِهَا وَإِنْتِصَابِ قُطْبِهَا وَمِيدَارِ رَحَاهَا تَيْدًا فِي مِيدَارِجِ خَفِيِّهَا وَتَثَبُّوا إِلَيَّ فَطَاعَةٌ جَلِيَّةٌ (الخطبة: ١٥١)*. ويعتبر في الرسالة ٣٢ أن الأفراد ذوي البصيرة يتحررون من الفتن. ويعمد مثيرو الفتن إلى تقويض مبادئ الدين والعودة إلى الجاهلية، فإذا قام خواص جبهة الحق بتوعية المجتمع فسوف تزول الشبهات ويفتضح أمر أهل الباطل، لأن رفع مستوى البصيرة في المجتمع يساعد على تمييز الحق من الباطل وتنشيط الحيل التي يلجأ إليها مثيرو الفتن. وتعتبر طاعة القائد من أهم طرق التغلب على الفتن حيث يؤكد الإمام علي عليه السلام على أن عصيان القائد يؤدي إلى الحسرة والندم. وتعتبر الآيات وكلام الإمام علي عليه السلام الطريقة الأخيرة في دفع الفتن والنضال ضده.

المصادر

- قرآن مجيد
- نهج البلاغة
- ابن أبي الحديد، عز الدين ابو حامد، (بي تا). شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد. مصحح: محمد ابو الفضل ابراهيم. قم: كتابخانه عمومي آية الله مرعشي نجفي.
- ابن عاشور التونسي، محمد الطاهر بن محمد (١٩٨٤). التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر.
- ابن فارس، احمد بن فارس (١٤٠٤). معجم مقاييس اللغة. تحقيق وضبط عبدالسلام محمد هارون. قم: مكتب الاعلام الاسلامي، مركز النشر.
- بحراني، ميثم بن علي بن ميثم (١٣٦٢). شرح نهج البلاغة. نشر الكتاب.
- بلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى (١٣٩٤). أنساب الأشراف. تحقيق محمد باقر المحمودي. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط الأولى.
- تيممي أمدي، عبدالواحد (١٣٧٧). ترجمه غرر الحكم و درر الحكم (شيخ اسلامي). مترجم سيد حسين شيخ اسلامي. قم: انصاريان.
- حسيني خطيب، سيد عبد الزهراء (١٣٦٧). مصادر نهج البلاغة وأسانيده. بيروت: دار الزهراء.
- خزاز القمي (١٤٠١). كفاية الأثر. تحقيق: السيد عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي. قم: بيدار.

(الخطبة: ٩٣؛ شهدي، ١٣٧٨: ٨٥). وتشير هذه الجملة إلى فتنة البصرة والناكثين، فلم يجروا الناس على محاربة أهل القبلة والمسلمين لأنهم كانوا يخشون ارتكاب الذنوب. ويبين عليه السلام هذا الأمر في خطبة أخرى بعبارة مشابهة فيقول: «انا الذي فقات عين الفتنة ولم يكن لي جترئ عليها غيري وايم الله لو لم اكن فيكم لما قوتل اهل الجمل ولا اهل صفين ولا أهل النهروان» والمقصود بـ «فقات عين الفتنة» هو «فقات عين أهل الفتنة» (ابن ميثم، لاتا: ٢ / ٣٨٩).

٥. **الاتحاد والتضامن:** وهو من طرق مواجهة الفتن في المجتمع حيث يقول الإمام علي عليه السلام: *«وَالرُّمُومُ السَّوَادَ الْأَعْظَمَ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذَّنْبِ أَلَا مَنْ دَعَا إِلَيَّ هَذَا الشُّعَارَ فَاقْتُلُوهُ وَلَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هَذِهِ» (الخطبة: ١٢٧؛ شهدي، ١٣٧٨: ١٢٦)*. ويؤكد الإمام عليه السلام على قتل الأشخاص الذين يرفعون شعار التفرقة والانفصال ويحظر التعاون في عصيان الله: *«أَلَا إِنَّ الذَّلَّ فِي طَاعَةِ اللَّهِ أَقْرَبُ إِلَيَّ مِنَ التَّعَاوُنِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ» (شوشترى، ١٣٧٦: ٤/١٦٥)*. ويؤكد الإمام عليه السلام في حديث آخر على الحذر من التفرقة والتزام الخير والتقوى ويحظر التعاون على الشر والذنوب والفتنة والفساد، أي أنه إذا كان الهدف هو مساعدة الناس فالإتحاد والتضامن ضروري لكن التعاون على تضيق حقوق الناس أمر محظور.

٦. **اليقظة ونصر جبهة الحق:** إن تنوير المجتمع وتوعيته إلى الحقيقة من قبل نخبة المجتمع هو من أهم طرق مواجهة الفتن والتغلب عليها حيث يصبح كل شيء واضحاً ويصبح من السهل التمييز بين الحق والباطل. يقول الإمام علي عليه السلام في الحكمة ٤٧٨: *«مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا، حَتَّى أَخَذَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يُعَلَّمُوا» (شهدي، ١٣٧٨: ٤٤٦)*. ويقول فيما يتعلق بأهمية نصر جبهة الحق: *«وَلَكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرِ عَنْهُ، وَبِالسَّمْعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِي الْمُرِيبِ أَبَدًا» (الخطبة: ٦) (شهدي، ١٣٧٨: ١٤)*.

الخاتمة

للفتنة في القرآن الكريم معان كثيرة، وأكثرها أهمية هو الابتلاء والفوضى، وجذر كل منهما هو الطغيان والإفراط. الشيطان في مدار الفتنة ويهدف إلى تقويض مبادئ الدين والمعتقدات واحداً تلو الآخر. أحد أهم أسباب الفتنة هو البدع واتباع هوى النفس، حيث يقوم مثيرو الفتن بتفسير الآيات والروايات على هواهم وهم يرتدون لباس العدالة. وتعتبر الفتن من أصعب التهديدات التي تواجه الدولة الإسلامية بسبب طبيعتها، حيث يمتزج الباطل بالحق ويصبح من

- خوانساري، جمال الدين محمد (١٣٤٤). شرح غرر الحكم ودرر الحكم (خوانساري). مصصح سيد ميرجلال الدين حسيني ارموي محدث، طهران: جامعة طهران.
- راغب اصفهاني، حسين بن محمد (١٤١٢). مفردات في غريب القرآن، دمشق: دارالعلم الدار الشاميه.
- زمخشري، محمود (١٤٠٧). الكشف عن حقائق غوامض التنزيل. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- شريف، احمد حسين (١٣٩٠). موج فتنه از جنگ جمل تا جنگ نرم. طهران: كانون انديشه جوان.
- شعبة الحراني، ابو محمد الحسن بن علي (١٤٢٣). تحف العقول عن آل الرسول. قدم له وعلق عليه الشيخ حسين الاعلمي. بيروت: موسسه الاعلمي.
- شوشتري، محمد تقى (١٣٧٤). بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة. طهران: امير كبير.
- شهيدى، سيدجعفر (١٣٧٨). ترجمه نهج البلاغه شهيدى. طهران: شركت انتشارات علمي و فرهنگي.
- شيخ صدوق (١٤٠٠). أمالي الصدوق. بيروت: اعلمي.
- _____ (١٤٠٤). من لا يحضره الفقيه. قم: جامعه مدرسين.
- شيخ مفيد، محمد بن نعمان (١٤١٣). الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد. قم: كنگره شيخ مفيد.
- طباطبائي، محمد حسين (بي تا). الميزان في تفسير القرآن. بيروت: موسسه الاعلمي للمطبوعات.
- طبري، أبو جعفر محمد بن جرير (١٤٢٠). جامع البيان في تأويل القرآن. المحقق: أحمد محمد شاكر، بي جا: مؤسسة الرسالة.
- طالقاني، محمود (١٣٧٤). پرتوي از نهج البلاغه. مصصح: سيد محمد مهدي جعفري، طهران: سازمان چاپ و انتشارات وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامي.
- فراهيدي، خليل بن احمد (١٤١٠). ترتيب كتاب العين. تحقيق مهدي المخزومي و ابراهيم سامرائي. تصحيح اسعد الطيب. قم: سازمان اوقاف و امور خيريه، انتشارات اسوه.
- فيض الاسلام، سيد علي نقى (١٣٧٩). ترجمه و شرح نهج البلاغه (فيض الاسلام). طهران: موسسه چاپ و نشر تاليفات فيض الاسلام - انتشارات فقيه
- مكارم شيرازي، ناصر (١٣٧٥). بياض امام شرح تازه و جامعى بر نهج البلاغه. طهران: دار الكتب الاسلامية.
- _____ (١٣٨٠). تفسير نمونه. طهران: انتشارات دار الكتب الاسلامية.
- منقري، نصر بن مزاحم (١٤٠٤). وقعة صفين. تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة، الطبعة الثانية، افست قم، منشورات مكتبة المرعشي النجفي.
- نوري الطبرسي، الحاج ميرزا حسين (١٤١١). مُسْتَدْرَكُ الْوَسَائِلِ وَمُسْتَنْبَطُ الْمَسَائِلِ. بيروت: تحقيق موسسه آل البيت (ع) لاحياء التراث.